الكلمة العربية ودورها في إحكام الانسجام بين النص والسياق في الخطاب القرآني.

The Arabic word and its role in establishing coherence between the text and context in the Qur'anic discourse.

عبدالعزيز ناصر

جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، nacerabdelaziz2806@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/04/27 تاريخ القبول: 2022/06/04 تاريخ النشر: 2022/06/30

الملخص:

لا يستسهل أي باحث في علم لغة القرآن ما للكلمة من دور كبير في صناعة الإعجاز والتحدي الذي جاء به هذا الكتاب، فالكلمة القرآنية لها من الخصائص العظيمة ما يجعلها بابا لعلم مستقل بذاته، كونها الوحدة الأساسية التي يبنى بها النص والسورة، وتشكل الرباط المتين الذي يشد به حدود السورة، و بها يتغذى النص من تلك الشحنات الدلالية التي تتجاذب من قريب ومن بعيد، ولنا أن نقول أنّ الكلمة هي النص وهي السورة وهي المعنى وهي الدلالة....، ولهذا نتساءل كيف تسهم الكلمة بتنوعها واختلافها في صناعة الإنسجام في النص ذاته، وبين النص والمقام؟.

الكلمات المفتاحية: الكلمة، النص، الصورة، الانسجام، السياق القرآني.

Abstract:

It is not easy for any researcher in the science of the language of the Qur'an, as the word plays a major role in making the miracle and the challenge that this book brings. The boundaries of the surah, and with which the text is nourished by those semantic charges that attract from near and far, and we can say that the word is the text, it is the surah, it is the meaning and it is the signification.... Therefore, we wonder how the word contributes to its diversity and difference in making harmony in the text itself, and between Text and denominator?.

Keywords: the word, the text, the surah, harmony, the qur'aniccontext.

المقدمة

تلقى الكلمة واللفظة القرآنية بحثا نوعيا متميّزا في البحوث والدراسات اللغوية والقرآنية نتيجة لخصوصيتها المتفرِّدَةِ، كون الخطاب القرآني نص معجز له من الألفاظ والكلمات والتوظيف ما لم تلم به مؤلفات البشر كلها، حدٌّ من الإعجاز لم يصله أحد منهم. فالألفاظ القرآنية لا بد من تتبعها قصد تمكينها وبيان مدلولاتها ومفاهيمها من داخل القرآن نفسه حتى لا تَحمِل من خارج القرآن ما لم ينزل به الله من سلطان. لأن الألفاظ القرآنية مترابطة بينها ولا يمكن فهمها إلا برد بعضها إلى بعض وقراءة بعضها في ضوء بعض وتأثير بعضها في بعض. ولأنّ المفردة القرآنية تستلهم معناها من ذاتها ومن الألفاظ التي تحفّها وتحيط بها. كما أنّ العلاقات اللغوية التي تبني الآية ثم السورة القرآنية كفيلة بجعل كل مفردة متميزة ومشحونة بدلالة معينة في توظيف معين وفي سياق معين. ولذلك نجد النظم القرآني محكم بطريقة تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في أغراض مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض التي يتكلم عنها، للدلالة على المعاني بأوضح عبارة في أعذب سياق وأجمل نظم (مسلم، 1426هـ/2005 م، صفحة 133)، بل وحتى في عرف البشر وخاصة عند الكتاب والأدباء الذين يراعون ذلك الإنسجام بين النص والسياق فإنّ الكلمة إذن تصبح اللّبنة المستخدمة في البناء اللغوي، الذي يستمد روحه من ذلك البناء الفكري الذي يعدّ مظهرا من مظاهر وعي الإنسان، وسموّه على المخلوقات الأخرى، وقد كرّمه المولى بها، لأنها وسيلة تعايش وتآنس، وهي أداته التعبيرية في توصيل المعنى، في القول العادي، وهي الوسيلة الجمالية في صياغة النتاج الأدبي، كما كانت الألوان وسيلة الرسم، والنغمات وسيلة الموسيقا، والحجر وسيلة النحت (ياسوف، 1419 هـ/ 1999 م، صفحة 35).

1. التّحدّي بالكلمة ثم بالآية ثمّ بالسّورة

ومادامت الكلمة هي صنيع النص وتعابيره، فقد كان تحدي الله للعرب أيام نزول القرآن بلغتهم، فكان المطلوب منهم في التحدي هو قطعة من ذلك المثل الذي ادّعوه في سورة البقرة. فلم يستطيعوا. لذلك وصف العلماء هذه السورة بأنّها حكيمة المعاني متلائمة المباني منتظم أوّلها بآخرها كسور المدينة في صحة الانتظام وحسن الالتئام والإحاطة بالمباني التي هي كالمعاني، والتقاء الطرفين حتى صار بحيث لا يدري أوّله من آخره، سواء كانت القطعة المأتي بها تباري آية أو ما فوقها لأنّ آيات القرآن كسورة يعرف من ابتدائها ختامها ويهدي إلى افتتاحها تمامها، فالتحدي هنا منصرف إلى الآية بالنظر إلى الأوّل وإلى ما فوقها بالنظر الثاني (البقاعي، 1404 هـ/ 1984 م، صفحة 162)، ومن هنا شكل الإنسجام في النص القرآني صورة لا مثيل لها، فالاختلاف الموجود فيه الذي أظهرته كتب المتشابه فيه دليل على الثراء الوصفي والتنوع المبهر الذي أذهل العقول، الذي من خلاله

تباينت المعاني واختلفت الدلالات و توحدت المقاصد. ولهذا ركز أصحاب هذا العلم على الدور الذي تلعبه الكلمات في تحديد دلالة النص. وتحديد المعنى العام للنص حتى لا يقعون في تناقض غير محمود.

2. قيمة المفردة القرآنية في البنية التراكيبية القرآنية

ما يؤثر في بنية النص القرآني آيةً وسورةً. هو ذلك التوظيف الخارق للمفردة القرآنية في التراكيب اللغوية داخل الآية بل و في تعبير أوسع من ذلك مثل السورة، فهو يعطي للمفردة معنى محاطا بما يجاور المفردة من معاني ومفردات. وهذا ما يسميه علماء النص والخطاب بالترابط /النظم/النسق أو الوحدة البنائية أو الترتيل، والكلمات القرآنية هي قول الله سبحانه وتعالى بهرت بلاغتها العقول وظهرت فصاحتها على كل مقول، وتضافر إيجازها وإعجازها وتظاهرت حقيقتها ومجازها، وحوت كل البيان وجوامعه وبدائعه، قد أحكم الحكيم سبحانه وتعالى صياغتها، وأبدع البديع سبحانه ترتيبها ونظامها. فكانت أبواب ومفاتيح خزائن المعاني والعلوم (بكرو، 2018 م، صفحة 7)، كما أنّه من خصائص الكلمة القرآنية "الدلالة بأقصر عبارة على أوسع معنى تام متكامل، دون اختصار مخلّ أو ضعف في الدلالة. واقرأ في هذا قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها﴾)الكهف:(77 فكان الإتيان بالضمير هنا يؤدي المعنى، كأن يقال: استطعماهم، ولكن الإتيان بالاسم الظاهر– وهو أهلها– يفيد معنى أعم وأوسع؛ لأنه جمع مضاف يفيد العموم، فيدل على أنهما استطعما جميع أهل القرية، بخلاف (استطعماهم) فإنه يحتمل أنّ الاستطعام كان لمن أتياهم، وهم سكان أوّل القرية" (مستو، 1418هـ/ 1998 م، صفحة 67).

ونجد ابن تيمية يشير إلى قيمة العلاقة الموجودة بين كلمات الآية الواحدة وعلاقة الآية الواحدة بما يسبقها وما يلحقها من آيات وكيف يتشكل المعنى بتلك العلاقات قائلا :"تأمل ما قبل الآية وما بعدها، يطلعك على حقيقة المعنى" (الجليند، 1404هـ/ 1984م، صفحة 313)، في إشارة منه إلى أنّ الكلمة المفردة لا تحقق دلالتها المرجوة وحدها إلاّ بامتصاص تلك الشحنات الدلالية من غيرها من الكلمات التي تحيط بها من قبل ومن بعد. ويبرز هذا القول أنّ الاهتمام بهذا الموضوع ليس حديثا بل كان منذ العصور الأولى التي بدأ فيها تفسير القرآن لفهمه. لذلك حذر علماء التفسير كل من ليس له علم شامل باللغة وإطلاع واسع بكتب المفسرين الأوائل أن يخوض غمار البحث في هذا العلم. وهذا ما أشار إليه د. أحمد عبادي حيث قال: "إنّ من لم يدرك بنائية القرآن ووحدة ألفاظه العضوية، يمكن أن يقع في تعضية وتمزيع خطيرين بإدخاله فيه من خارجه مدلولات ألفاظ لا تمت (أي المدلولات) إليه بصلة، مما من شأنه أن يحول دون الاستهداء به نحو التي هي أقوم. إن الترتيل وحده هو الذي يمكّن من ربط المفردات ببعضها، ومن اختبار ما فهمناه منها بفتنته على نور الآيات، عن طريق السير في القرآن وفي الآفاق" (عبادي، 1422–1423هـ/ 2002–2001م، صفحة 68)، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي

الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (27)﴾ (لقمان) .

ولنا أن نلاحظ مثالا لذلك الترابط والتعالق والإنسجام الموجود بين دقة اختيار الكلمة وانسجامها مع كل الآية في قوله تعالى من سورة البقرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ(183)﴾ (البقرة)، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾، ولم يقلْ: فُرِض، والاختيار دليلُ الحِكمة، والحِكمة هي في اختيار لفظ (كُتِب)؛ أنَّ الصيام عبادةٌ شاقة، فهي امتناعٌ عن أمور محبوبة وضروريَّة للبدن، والنَّفْس في فِطرتها تنفر مِن المنع إلى الإباحة، فكان المقام أن تُذكَر الفرضية بلفظ (كتب)؛ لأنَّ الكتابة في معنَى التكليف أوْثَق وأقوى مِن لفظ (فرض)، ألاَ ترَى أنَّ مديرًا ما لو كَلَّف موظفًا عندَه بأمر ما شفهيًّا، فإنَّ ذلك سيكون أقل حتميةً مِن أن يكتُب له التكليف رسميًّا؟ والكتابة في اللُّغة بمعنى الجمْع والتثبيت (السمرائي ف.، 1434هـ/ 2013م، صفحة 10)، واستخدام (كُتِب عليكم) فيه شدة ومشقة وإلزام. والصوم مشقة يترك الطعام والشراب والمفطرات من الفجر إلى الليل، فيه مشقة لذا قال كتب عليكم ولم يقل لكم. أما (كُتب لهم) فهو تركيب يستعمل في الخير (إلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ) (السمرائي ف.، 1434هـ/ 2013م، صفحة 10) (120) التوبة ، لهذا يقول علماء القرآن بأنّه لا توجد كلمة قرآنية مرادفة لكلمة أخرى كما يتخيل بعض البشر، فلكل كلمة قرآنية خاصيتها وحدودها من ساحة الدلالات التي تحملها، والتي تميزها عن ساحات غيرها من الكلمات الأخرى" (الرفاعي، 2011م، صفحة 44)، إذ "لا يمكن استبدال كلمة قرآنية بكلمة أخرى حتى في التفسير، وما يتم فعله من تصور دلالات كلمة مكان أخرى في تفسير بعض النصوص القرآنية، ناتج عن عجز المخلوقات عن الوقوف على حقيقة دلالات الكلمات القرآنية، بالشكل الذي يجب أن يكون عليه" (الرفاعي، 2011م، صفحة 44)، وعلى هذا النحو يجب أن ينحو كل ناح في فهم القرآن و يترصد تلك العلاقات بين الكلمات فيتطلع إلى النسيج الذي يربطها ويفك عقده عقدة عقدة حتى يصل إلى رأس الكبّة، فيتبيّن المعنى المقصود من المعنى الاحتمالي.

وتلعب الوظيفة الإحالية للكلمة أيضا دورا لا يقل أهمية هو الآخر عما ذكرناه سابقا، خاصة في خلق الترابط بين أجزاء النص، إذ تنسج الخيوط الكبرى بين أطراف النصوص والسوّر القرآنية لتخلق ذلك الترابط الذي يحفّ النص فيجعله محاطا إحاطة كلية بذلك النسيج فيتعلق بعضه ببعض، وتكون الكلمة في كثير من النصوص هي النواة التي تجعل أخواتها يستمدون منها جزءا من الدلالة، لخلق المعنى العام للنص، فتتشارك بنصيب ولو ضئيل في المحتوى العام للنص أو السورة. وعلى هذا النحو تتشكل الخيوط الكبرى لمعاني الآيات والسور في القرآن. فمطلع السورة يحيلك مباشرة من خلال كلمات المقدمة إلى نهاية السورة، كما هو بارز في سورة البقرة. فالمتقون ذكروا في بداية السورة وفي الوسط وفي خاتمتها. وفي سورة البقرة تجد المناسبة جليَّة بين فاتحة السورة وخاتمتها ففي البداية يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْك وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِك﴾(البقرة:4) وتأتي خاتمة

السورة لتؤكد هذا المعنى وتُقرره فيقول المولى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ * كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾.(البقرة:285) فتبدأ سورة البقرة بقوله تعالى ﴿الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) ﴾ إذًا هو ذكر المؤمنين وما يؤمنون به، يؤمنون بما أنزل إليهم، وما أنزل من قبلهم، ثم ذكر الذين كفروا، وقال في آخر السورة ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) ﴾ فهذا إيمان بالغيب، في مفتتح السورة قال ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾(البقرة:4)، وهنا قال ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾(البقرة:285). ثم قال ﴿أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)﴾، وذكر في المفتتح الذين كفروا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(البقرة:6) ثم ذكر في الخاتمة الدعاء ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة:286)، وهذا تناسب كامل.

3.آلية الانسجام بالكلمة في القرآن

جاء في تعريف الانسجام في النقد ما ينطبق على فكرة التلاؤم، كما جاءت عند علمائنا القدامى، يقول حامد عبد القادر:" أصحاب المذهب الموضوعي يرون أن منشأ الجمال هو الاتساق والانسجام في الألوان والأشكال والأساليب والنّغمات، سواء أكان ذلك الانسجام طبيعيا أم صناعيا، وأساس الانسجام هو الوحدة مع التّعدّد، أي اجتماع عناصر مختلفة وائتلافها بحيث تكون وحدة مترابطة الأجزاء متناسقة العناصر (حامد، 1949، صفحة 103)، وعلى هذا الأساس من الوحدة في موضوع السورة والتنوّع في طريقة بنيته التراكيبية واللغوية بما يتمثل في حضور جميع العناصر اللغوية المختلفة والمفردات المتنوّعة يقوم النص القرآني ببنيته قائما منتصبا.

إنّ تنوع الدلالات عند توظيف الكلمة في أنسجة لغوية متنوعة ينوع في معطيات فهم النص القرآني وتأويله. ويعطي للفظة أثر بارز نجده في النص القرآني واضحا. فالمعاني التي تتولد نتيجة التفاعل الموجود بين ألفاظ البنية اللغوية للنص تتحد في اتجاه قدّره الله تعالى أن يكون كذلك. ولذلك فإن للكلمة في القرآن الكريم قيمةً عظيمة، وأهمية كبرى؛ وذلك أنّ الكلمة هي الأصل الذي يدور عليه المعنى، فإذا وضعتَ الكلمة في موضعها الذي ينبغي أن تكون فيه، فقد أصبتَ المعنى كله: لأنّ معاني الكلمات متعددة لا يحددها إلاّ استعمالها في سياق تنتظم فيه (عبدالحميد الماشطة، 1980، صفحة 23)"، ولأنّ" الخطوة الأولى التي تسبق ذلك التركيب الإبداعي تتعيّن في اختيار المفردة،... وفي هذا يقول الزيات: "وفي اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع وخلق، لأن الكلمة

ميتة ما دامت في المعجم، فإذا وصلها الفنان الخالق بأخواتها في التركيب، ووضعها موضعها الطبيعي من الجملة، دبّت فيها الحياة، وسرت فيها الحرارة" (الزيات، 1945م، صفحة 82)، و إذا كان الاهتمام بالنص البشري على هذا النحو فلا مناص أن يكون النص القرآني أكثر اهتماما وأرقى تعبيرا، "وعلى المتأمل أن ينظر إلى تناسق الكلمات في كل جملة، ويتأمل أيضا تآلف الحروف وتعاطف الحركات والسكنات والمدود، ولينظر كيف أن كلا منها كأنما صب في مقدار، وأنه قدر بعلم اللطيف الخبير" (مستو، 1418هـ/ 1998 م، صفحة 67)، والأعظم من ذلك كلّه أنّ الكلمة ذاتها، والتي تحمل دلالات ثابتة تنبع من دلالات جذرها اللغوي الذي تفرعت عنه، وتعطي في كل عبارة قرآنية صورة مميزة، تتعلق بالسياق المحيط بها، والذي يرسم حركة المعنى، والذي يتعلق بماهية العوالم الذي ترتسم به هذه الكلمة، فالمعنى المجرد للكلمة هو ثابت وبيّن، ولكن ارتسامه في عوالم مختلفة، يعطي صورا مختلفة تابعة لإختلاف تلك العوالم" (الرفاعي، 2011م، صفحة 44)، ولهذا تتسع دلالة الكلمة في القرآن، "لما لا تتسع له دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات عادة، بحيث يعبر بكلمة واحدة عن معنى لا يستطاع التعبير عنه إلا ببضع كلمات أو جمل لأنّ "التعبير القرآني يختار أجمل الألفاظ لأبهى تعبير، ويظل جاريا على مستوى رفيع من هذا الجمال اللفظي، ورقة الصياغة، وروعة التعبير، مهما تنوعت أبحاثه، واختلفت موضوعاته، وهذا مما يخرج عن طوق البشر" (مستو، 1418هـ/ 1998 م، صفحة 65)، وخذ مثالا على ذلك قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (73)﴾ (الواقعة:71–73) فقد أراد الله تعالى أن يحدثنا في هذه الآية عن مظاهر نعمته علينا، ومن جملتها النار، فنبهنا إلى مختلف فوائدها لحياتنا على اختلاف أطوارها، فعبر عن ذلك بكلمة (لِلْمُقْوِينَ) التي تحمل كل المعاني التي يمكن أن يعبر بها عن فوائد النار، فهي: جمع مقو، وهو المسافر، والجائع، والمستمتع، والنار إنما يستفيد منها المسافر، كما يحتاجها الجائع لتحضير طعامه، وهي إلى جانب ذلك كله من أسباب المتعة والرفاهية. وهذه الميزات الثلاث قلما يتخلف اجتماعها في كلمات القرآن، بينما لا تجتمع في غيره إلا نادرا، وما ذاك إلا لأن القرآن من كلام رب العالمين." (الرفاعي، 2011م، الصفحات 66–67)، ولهذا نجد الاختلاف الواضح والتنوع المتحد في معاني هذه الكلمة هو ما خلق نوعا من الإنسجام الحاصل في الآية الكريمة.

ولذلك أطلقت تسمية القرآن على كتاب الله لأنّ الحروف جمعت فصارت كلمات، قال بن عيينة:"سمي القرآن قرآنا لأنّ الحروف جمعت فصارت كلمات، والكلمات جمعت فصارت آيات، والآيات جمعت فصارت سورا، والسور جمعت فصارت قرآنا، ثم جمعت فيه علوم الأولين والآخرين (عبدالرازي، 1420 هـ، صفحة 280)، ولو تأملنا كلمات القرآن الكريم وجدنا أنّ كل كلمة قد رتّبها الله سبحانه وتعالى بطريقة يعجز البشر عن الإتيان بمثلها وبما يشهد على إعجاز هذا الكتاب العظيم، كما أنّ وضع الكلمة في الآية والتئامها مع جارتها واختيار الموقع والوضع المناسب له الأثر الكبير على المعنى وإبرازه (بكرو، 2018 م، صفحة 9)، فليس في القرآن لفظ ينبو عن السمع، أو يتنافر مع ما قبله أو ما بعده، فالكلمة القرآنية في الذروة من الفصاحة، وهي تحمل المعنى في

طياتها، واقرأ إن شئت قوله تعالى:﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها (27) رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها﴾ (النازعات: 27– 29) وانظر إلى كلمة (أغطش) كيف أنها تقدم لك المعنى في تلافيف حروفها قبل أن تقدمه في معناها اللغوي المحفوظ، وفي الوقت نفسه هي منسجمة مع ما قبلها وما بعدها من الألفاظ، لا تثقل فيها ولا إغراب، وكذلك بقية ألفاظ الآية، فكلها توقع على السمع موسيقا رائعة في منتهى الجمال (مستو، 1418هـ/ 1998 م، صفحة 66).

4. دور كلمة (التقوى) في الانسجام والترابط في سورة البقرة

مما يلاحظ في الإنسجام"أنه يتولّد من لقاء بين شيئين مختلفين، وهذه المقولة واردة على ألسنة الفلاسفة، والمنظّرين الجماليين منذ القدم، وقد أطلقوا على هذا الانسجام الذي يلائم بين شيئين مختلفين اسم (الوحدة في التنوع) فهو شرط أساسي من شروط الجمال، لذلك نرى الرسم الجميل قد تعاور لوحاته تناوب الألوان الغامقة والألوان الفاتحة، وفي إيقاع الفن السّمعي هنالك العلوّ الذي يتبعه انخفاض يدعى ب (القرار)." (ياسوف، 1419 هـ/ 1999 م، صفحة 171)، ومن هنا يمكننا أن نقيس ذلك على القرآن الكريم، فلو تأمل المتأمل في سورة البقرة وما فيها من إعجاز أحاط سور القرآن جميعا انسجاما وترابطا، لتخلى عن دراسة النصوص البشرية التي يعتقدها نماذجا لتطبيق نظريات الاتساق والانسجام، لما فيها من آليات متنوعة يظهر فيها الانسجام بتجلٍ معجز يهيب عقولهم ويبهرهم، فلو تأملنا مثلا لفظة التقوى ومشتقاتها ودلالاتها في سورة البقرة، التي وردت (36) ستاً وثلاثين مرّة في كذا من موضع، سنجدها تعانق بدايةً بدايةَ السورة، لذلك نجد المولى عزّ وجل قد أطلق كلمة (تتقون) في آية الصيام ولم يقيدها ولم يقل (تتقون كذا)كما جاء اتقوا النار أو اتقوا ربكم لتكون هناك احتمالات عديدة وهي كلها مُرادة : فتحتمل تتقون المحرمات وتحذرون من المعاصي لأن الصوم يكسر الشهوة ويهذبها ويحُدّها، وتحتمل تتقون المفطرات والإخلال بأدائها بأشياء تؤدي إلى ذهاب الصوم، وتحتمل أيضاً تصلون إلى منزلة التقوى وتكونوا من المتقين .وفي هذا السياق تكرر ذكر التقوى والمتقين قال: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)﴾ –.﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179) ﴾ –. ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ(180)﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)﴾. – ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)﴾–. ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ(194)﴾. وهي مناسبة لما في أول السورة ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾، ... والتقوى فِعلها وقى وقى نفسه أي حفظ نفسه وحذر، المتقون أي حفظوا أنفسهم من الأشياء التي ينبغي أن يبتعدوا عنها . (لعلكم تتقون) يعني تتقون أي شيء عموما (السمرائي ف.، 1434هـ/ 2013م، الصفحات 12-13)، وقد أظهر علماء علم المناسبة في القرآن الآلية التي تتناسب بها الألفاظ والكلمات مع بعضها البعض، كما أنها تنسجم في الآية الواحدة وفي الآيات المحيطة بها قبلا وبعدا، كما يحصل ذلك بين الآيات المتباعدة، بل وفي السورة المجاورة وأكثر من ذلك في سور القرآن المتباعدة ترتيبا، فهذا هو القرآن الموصوف بإعجازيته الخارقة التي تجعله يرتقي إلى منزلة تفوق النصوص البشرية بالدراسة والتحليل. "ومن يطوّف في رحاب التفاسير اللغوية البلاغية يجد وقفات طويلة في مفردات السور المدنية التي كان طابعها التشريع، لأن التشريع قد عني أيضا بنفسية المؤمن، ومن خلال رسم السلوك البشري السّوي وإلقاء الأوامر الإلهية، إذ برزت للدارسين جماليات في مناسبة المقام بمفردات تختزن طاقة وجدانية كبرى" (ياسوف، 1419 هـ/ 1999 م، صفحة 27).

5. الكلمة بين السياق والانسجام

كان الإهتمام بالسياق، ودوره في تحديد المعنى للكلمة كبيرا لدى علماء اللغة، فجعلوه أنواعا، منها السياق اللغوي، والسياق العاطفي، وسياق الموقف والسياق الثقافي" (عمر، 1988م، الصفحات 68-69)، ويبرز من هذه الأنواع الأكثر فاعلية السياق اللغوي الذي تظهر فيه المفردة القرآنية أكثر توهّجا من حيث المعنى داخل تركيب معيّن، لأنّ السياق التراكيبي القرآني سواء أكان سورة أم آية، يخلق للكلمة قيمة حضورية مختلفة، بعد أن يخلصها من دلالتها السابقة المتراكمة في الذاكرة" (القصاص، 1950م، صفحة 231)، الذي ترد فيه .ومما خلّفه العرب من كتب في هذا المجال ما جاء في كتب الأشباه والنظائر التي جمعت للكلمة الواحدة في القرآن دلالات متعددة، ويعود للسياق الفضل في اكتسابها لهذه المعاني في ضوء الدلالة اللغوية" (زيد، 2003م، صفحة 841)، ونلاحظ أن المفسيرين أولوا عناية كبيرة لذلك من خلال تبيان الفروق اللغوية والدلالية بين الكلمات وتوظيفاتها، وعقدوا مقارنات بين سياقها في الآيات والسّور، فعلى سبيل المثال بينوا الفرق بين كلمتي (معدودات) و (معدودة)، حيث أنّ الأولى تعني جمع قلة ومحصور العدد، بينما تعني الثانية جمع الكثرة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (184)﴾ (البقرة)، ويعلق ابن حيان الأندلسي على هذه الآية فيقول:"أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ إِنْ كَانَ مَا فُرِضَ صَوْمُهُ هُنَا هُوَ رَمَضَانُ، فَيَكُونُ قوله أياما معدودات عني بِهِ رَمَضَانُ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ أَبِي لَيْلَى وَجُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ، وَوَصَفَهَا بِقَوْلِهِ:مَعْدُودَاتٍ، تَسْهِيلًا عَلَى الْمُكَلَّفِ بِأَنَّ هَذِهِ الْأَيَّامَ يَحْصُرُهَا الْعَدُّ لَيْسَتْ بِالْكَثِيرَةِ الَّتِي تَفُوتُ الْعَدَّ، وَلِهَذَا وَقَعَ الِاسْتِعْمَالُ بِالْمَعْدُودِ كِنَايَةً عَلَى الْقَلَائِلِ، كَقَوْلِهِ: فِي أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ «1» لَنْ تَمَسَّنا النّارُ إِلّا أَيّامًا مَعْدُودَةً «2» وشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ

(حيان، 1420 هـ، صفحة 180)«3»، وَصِفَةُ الْجَمْعِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ تَارَةً يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْوَاحِدَةِ الْمُؤَنَّثَةِ وَتَارَةً يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ جَمْعِ الْوَاحِدَةِ الْمُؤَنَّثَةِ. فَمِنَ الْأَوَّلِ: إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً «1» وَمِنَ الثَّانِي: إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ «2» فمعدودات: جَمْعٌ لِمَعْدُودَةٍ. وَأَنْتَ لَا تَقُولُ: يَوْمٌ مَعْدُودَةٌ، إِنَّمَا تَقُولُ:مَعْدُودٌ، لِأَنَّهُ مُذَكَّرٌ، لَكِنْ جَازَ ذَلِكَ فِي جَمْعِهِ..." (حيان، 1420 هـ، صفحة 180)، لذلك قال: ولم يقل: (معدودة) تقليلا لها،و تهوينا عل الصائم (السمرائي ف.، 1434هـ/ 2013م، صفحة 12).

يقول الدكتور محمد بكر إسماعيل: "اصطفى الله من ألفاظ اللغة العربية أفصحها وأيسرها على اللسان، وأسهلها على الأفهام، وأمتعها للآذان، وأقواها تأثيرًا على القلوب، وأوفاها تأدية للمعاني، ثم ركَّبَها تركيبًا محكم البنيان، لا يدانيه في نسجه كلام البشر من قريب ولا من بعيد، وذلك لما يكمن في ألفاظه من الإيحاءات التي تعبر إلى خلجات النفس، وتقتَحِم شغاف القلوب. وما يكون في تركيبه من ألفة عجيبة، وانسجام وثيق بين هذه الألفاظ، مهما تقاربت مخارج حروفها أو تباعدت. فقد جاء رصف المباني وفق رصف المعاني، فالتقى البحران على أمر قد قُدِرَ، فاستساغته جميع القبائل على اختلاف لهجاتها قراءة وسماعًا. واستسلمت لهذا النسق الفريد، والترتيب العجيب أساطين البلاغة في كل زمان ومكان، واستمدَّت منه النفوس المؤمنة روحها وريحانها، فلم يشبع من دراسته العلماء، ولم يملّ تلاوته أحد من الأتقياء" (اسماعيل، 1419هـ/ 1999م، صفحة 328).

وفي قوله تعالى هذا من سورة آل عمران تظهر قمّة الانسجام الذي أظهرته مشتقات الجذر (ن.ا.د.ى) حين قال :﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران) ، قد تقول لِمَ لم يقل:(إنّا سمعنا مناديا للإيمان) ويكتفي،ولكن جمع بين المنادي وفعله فقال:" ﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ ﴾ ؟ (اسماعيل، 1419هـ/ 1999م، صفحة 328)، لذلك علق ابن حيّان على قوله تعالى قائلا:" وَجُمِعَ بَيْنَ قَوْلِهِ: مُنَادِيًا يُنَادِي، لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْأَوَّلَ مُطْلَقًا وَقَيَّدَ الثَّانِيَ تَفْخِيمًا لِشَأْنِ الْمُنَادِي، لِأَنَّهُ لَا مُنَادِيَ أَعْظَمُ مِنْ مُنَادٍ يُنَادِي لِلْإِيمَانِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَادِيَ إِذَا أُطْلِقَ ذَهَبَ الْوَهْمُ إِلَى مُنَادٍ لِلْحَرْبِ، أَوْ لِإِطْفَاءِ الثَّائِرَةِ، أَوْ لِإِغَاثَةِ الْمَكْرُوبِ، أَوْ لِكِفَايَةِ بَعْضِ النَّوَازِلِ، أَوْ لِبَعْضِ الْمَنَافِعِ. فَإِذَا قُلْتَ: يُنَادِي لِلْإِيمَانِ فَقَدْ رَفَعْتَ مِنْ شَأْنِ الْمُنَادِي وَفَخَّمْتَهُ. ." (حيان، 1420 هـ، صفحة 41)، و اختار المنادي على الداعي لأنّ النداء فيه رفع الصوت، فكأنّه رفع صوته بالدعاء إلى الله ليسمعه كل أحد (حيان، 1420 هـ، الصفحات 41-42)، وجاء في روح المعاني:"و إيثاره على(الداعي) للإشارة إلى كمال اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها إلى القريب و البعيد؛ لما فيه من الإيذان برفع الصوت" (الاندلوسي، 1442هـ/1994م، صفحة 163)، فتوافق آيات القرآن الكريم وسوره، مع الأغراض والمقاصد العامة للشريعة الإسلامية، بطريقة متناسقة ومنسجمة، يظهر فيه تتابع لمفردات القرآن في سياق قرآني خاص يعد من خصائص النص القرآني ودليل من دلائل إعجازه.

6. دقّة اختيار الكلمة في السّياق القرآني وعلاقتها بانسجام النص

من خصوصيات المفردة القرآنية أنّ دلالتها قوية في موضعها الذي خُصَّت به دون غيره، كما أنّه لن تكون لها تلك الشحنة الدلالية إلاّ في الموضع الذي وضعت له، لذلك نجد الله تعالى أحرص الحارصين على إيصال المعنى للمتلقي بحلّته تلك التي شاءها. والسياق القرآني متفرّد بأساليبه ولغته عن لغة البشر، فهو دائما بليغ، مُفهم للمتلقي، دقيق في اختيار الكلمات ومواقعها التي تتناسب معها لتحقيق إنسجام بين النص والسياق الذي يقابله في الواقع، وهذا ما يخدم المفسرين ويجعلهم يقتربون من المعنى الذي قصدته تلك الكلمة في الآية. والقرآن الكريم ثريّ بالأمثلة التي يتضّح فيها اختيار الكلمات بتلك الدقة. وهو "دقيق في وضع ألفاظه ورصفها .. فكل كلمة فيه مختارة اختياراً دقيقاً للدلالة على معنى مقصود بذاته، إن لم يكن من أصل الوضع اللغوي واستعمالات العرب، فبالاختيار والاصطلاح القرآني، ويكشف ذلك سبر دلالات الكلمة في كل المواضع التي استعملت فيها في القرآن الكريم" ..وكمثال توضحي لدور الكلمة في خلق الإنسجام داخل الآية بين ألفاظها، ثم خارجها في السياق المقامي، نأخذ الفعلين (أتى وأعطى)، حيث فسّرت المعاجم اللغوية الإيتاء والإعطاء على أنهما مترادفين، لذلك نجد أنّ الكلمات تتمتع بذاتية ومكانة مستقلة في المعجم (بشر، 1962م، صفحة 13)، عكس ما نجده في الاستعمال القرآني، و هذا ما يفصح عنه الاستعمال القرآني للكلمتين السابقتين (الإيتاء و الإعطاء)، فثمة فروق دقيقة بينهما نلمحها من خلال المقارنة التالية (داود، 2008 م، الصفحات 27-29):

- لم يستعمل الإيتاء إلاّ للشيء الكثير والعظيم الشأن، كالملك والحكمة والرحمة والخير والقرآن، ومن ذلك الآيات الكريمة التالية:
- ﴿ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ.... ﴾) البقرة 251(، -﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾)البقرة 269(.-﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنيَا وَحُسنَ ثَوَابِ ٱلأخِرَةِۗ ﴾)آل عمران 148(،- ﴿وَأَعْطَى قَلِيلا وَأَكْدَى﴾)النجم 34(.... ولم يرد الإعطاء دالاّ على الشيء الكثير إلاّ مقيّدا بما يدل على الكثيرة ، كما في قول الله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء 20)....وعلق بعض المفسرين على قوله:﴿ إِنَّا أَعطَينَٰكَ ٱلكَوثَرَ﴾) الكوثر.1).
- والإيتاء فيه قوة ليست للإعطاء، لأن الإعطاء يتوقف على القبول، بينما الإيتاء لا يتوقف على القبول، ولذلك أمر المسلمون بـ (إيتاء) الزكاة في كثير من الآيات، نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (البقرة: 43، 83، 110، النساء: 77، النور: 56، المجادلة: 13، المزمل:20)
- بينما عبر عن الجزية (الإعطاء) في قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱليَومِ ٱلأخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعطُواْ ٱلجِزيَةَ عَن يَد وَهُم صَٰغِرُونَ﴾(التوبة: 20). وذلك لأن الجزية موقوف على قبول منّا.

- كما أنّ الإيتاء يكون عن طيب قلب، بينما قد يكون الإعطاء عن كره، ولذلك عبر عن إخراج الزكاة بالإيتاء، لأنّ المؤمن يعطي الزكاة عن طيب قلب، بينما عبر عن الجزية بالإعطاء، لأنّ الذمّيَّ لا يعطي الجزية راضيا بل مكرها.

والأمثلة كثيرة من هذا القبيل ومن القرآن الكريم وهي شاهدة على تلك القوّة التي تستمدها الكلمة من حضورها في الوسط السياقي القرآني، فالله تعالى تحدى العرب بلسانهم وأبهرهم ببديع سياقه الذي أعجزهم، فلم يحققوا مثلما حققته البلاغة القرآنية، فاللغة لغتهم وهم أدرى بها لكن القرآن أعجزهم بما فيهم من فصاحة وبمفردات يستعملونها هم بأنفسهم، والانسجام الحاصل في القرآن الكريم بفضل تلك الفصاحة وتلك الدقة في اختيار الكلمة لم يعرفه لا سجع الكهّان ولا شعر فحول الشعراء. ولنا أن نلاحظ قوله تعالى في سورة يوسف. قال تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ (يوسف:85) فالفعل (فتأ) هنا في سورة يوسف له من الخصوصيات التي تجمع معاني عدة لم تكن لفعل مثله إن وظّف في هذا الموقع ولن يتأتى للآية ما لها من معنى ودلالة مثلما حصل مع الفعل (تفتأ)، لذلك نجد السياق القرآني يحرص على ذلك الانسجام بين الكلمة والسياق الخارجي للموقف عندما يختار له أدق الألفاظ تأدية للمعنى ومشحونة بدلالة أقوى من غيرها من الألفاظ التي ترادفها وتقاربها في المعنى، فهو دائما يفاضل بين أقواها معنى ويوظفها توظيفا يتناسب مع مقام السياق. فالفعل(فتأ) مثلا من معانيه في اللغة "نسي وسكّن وأطفأ النار يقال فتأت النار والإتيان بالفعل (فتأ) في هذه الآية وفي هذا الموطن جمع كل هذه المعاني. كيف؟ المفقود مع الأيام يُنسى ويُكفّ عن ذكره أو يُسكّن لوعة الفراق أو نار الفراق في فؤاد وفي نفس من فُقد له عزيز. ولو اختار أي فعل من الأفعال الأخرى المرادفة لفعل فتأ لم تعطي كل هذه المعاني المختصة في فعل فتأ" (السمرائي ف.، بلا تاريخ)، فالفعل هذا وحده هو الذي له حق التفوق و البروز في أداء ذلك المعنى دون غير حتى يتحقق الإنسجام.

7. الخاتمة

من خلال هذا البحث المتواضع والقصير، وصلنا إلى مجموعة من النتائج منها:

- أنّ الألفاظ القرآنية مترابطة بينها ولا يمكن فهمها إلا برد بعضها إلى بعض وقراءة بعضها في ضوء بعض وتأثير بعضها في بعض. لأنّ المفردة القرآنية تستلهم معناها من ذاتها ومن الألفاظ التي تحيط بها.
- آيات القرآن كالسورة الواحدة يعرف من ابتدائها ختامها ويهدي إلى افتتاحها تمامها.
- قيمة الكلمة في القرآن تكمن في خصائص الكلمة القرآنية منها أنّ الدلالة تتحقق بأقصر عبارة على أوسع معنى تام متكامل، دون اختصار مخلّ أو ضعف في الدلالة.
- من العلماء من يقول بأنّه لا توجد كلمة قرآنية مرادفة لكلمة أخرى كما يتخيل بعض البشر، فلكل كلمة قرآنية خاصيتها وحدودها من ساحة الدلالات التي تحملها، والتي تميزها عن ساحات غيرها من الكلمات الأخرى

بحيث لا يمكن استبدال كلمة قرآنية بكلمة أخرى، حتى في التفسير، وما يتم فعله من تصور دلالات كلمة مكان أخرى في تفسير بعض النصوص القرآنية، ناتج عن عجز المخلوقات عن الوقوف على حقيقة دلالات الكلمات القرآنية، بالشكل الذي يجب أن يكون عليه.

- تلعب الوظيفة الإحالية للكلمة أيضا دورا لا يقل أهمية عن الوظيفة الدلالية، خاصة في خلق الترابط بين أجزاء النص، كون الإحالة تنسج الخيوط الكبرى بين أطراف النصوص والسوّر القرآنية فتربطها.
- تبنى آلية خلق الإنسجام بالكلمة في النص القرآني على أساس التنوع والوحدة لأن الانسجام هو الوحدة مع التّعدّد، أي اجتماع عناصر مختلفة وائتلافها بحيث تكون وحدة مترابطة الأجزاء متناسقة العناصر. وعلى هذا الأساس يتشكل الإنسجام في النص القرآني.
- التعبير القرآني يختار أجمل الألفاظ لأبهى تعبير. وهو ما يشكل حدّا من حدود الإعجاز في القرآن.
- أظهر علماء علم المناسبة في القرآن الآلية التي تتناسب بها الألفاظ والكلمات مع بعضها البعض، كما أن الكلمة تنسجم مع غيرها في الآية الواحدة وفي الآيات المحيطة بها.
- يكمن الانسجام بين الكلمة والنص القرآني في دقة اختيار الكلمة ضمن السياق القرآني، كون أنّ المفردة القرآنية لها خاصيّة وهي أنّها تستمد قوّتها الدلالية من موضعها الذي خُصَّت به دون غيره كما هو موضح من خلال الفعلين (أتى) و (أعطى).

المراجع:

1. ابراهيم ين عمر بن حسن الرباط، بن علي بن أبي بكر البقاعي. (1404 هـ/ 1984 م). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة، مصر: دار الكتاب الاسلامي.
2. احمد حسن الزيات. (1945م). دفاع عن البلاغة. القاهرة، مصر: مطبعة الرسالة.
3. احمد مختار عمر. (1988م). علم الدلالة. القاهرة، مصر: دار عالم الكتب.
4. احمد ياسوف. (1419 هـ/ 1999 م). جماليات المفردة القرآنية. دمشق، سوريا: دار المكتبي.
5. آل عمران.
6. البقرة.
7. الجليند ,ت .ا1404) .هـ1984 /م .(دقائق التفسير الجامع .دمشق، سوريا :مؤسسة علوم القران.
8. السمرائي ,ف .(s.d.) .اسرار البيان في التعبير القراني Récupéré sur .ص .2:الموقع–https://www.noor : book.com– .
9. جون لا ينز، ترجمة محمد عبدالحميدالماشطة. (1980). علم الدلالة. البصرة، العراق: منشورات كلية الاداب.
10. خالد بكرو. (ديسمبر، 2018 م). الكلمة (كلمه) في القرآن الكريم، معانيها، اشكالها، اقسامها، انواعها، أصنافها، صفاتها، قوانينها. 7. المجلة العربية للعلوم ونشر الابحاث.
11. عبادي ,أ1423–1422) .هـ2001–2002 /م .(مفهوم التر تيل في القران الكريم النظرية والمنهج .رسالة دكتوراه . مراكش، المغرب ,كلية الاداب والعلوم الانسانية :جامعة القاضي عياض.
12. عبد القادر حامد. (1949). دراسات في علم النفس الأدبي. القاهرة، مصر: المطبعة النموذجية.

13. عبد الله زيد. (2003م). السياق القراني واثره في الكشف عن المعاني. جامعة الملك سعود، السعودية: مطبعة العلوم التربوية والدراسات الاسلامية.
14. عبدالحميد الدواخلي، محمد القصاص. (1950م). اللغة في التدريس. مصر: مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة لجنة البيان العربي.
15. عدنان الرفاعي. (2011م). النظرية الخامسة، احدى الكبر ، النظرية الأولى (المعجزة). دمشق، سوريا: دار الخير للنشر والتوزيع.
16. فاضل صالح السمرائي. (1434هـ/ 2013م). قبسات من البيان القراني. بيروت، لبنان: دار ابن كثير.
17. كمال محمد بشر. (1962م). دور الكلمة في اللغة ستيفن اوثمان، ترجمة وتقديم وتعليق. القاهرة، مصر: مكتبة الشباب.
18. لشهاب الدين السيد محمود الاندلوسي. (1442هـ/1994م). روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني. بيروت، لبنان: ادارة الطباعة المنبرية، دار احياء التراث العربي.
19. لقمان.
20. محمد بكر اسماعيل. (1419هـ/ 1999م). دراسات في علوم القران. دار المنامة.
21. محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)أبو عبدالرازي. (1420 هـ). مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير. بيروت، لبنان: دار احياء التراث العربي.
22. محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل ابو حيان. (1420 هـ). البحر المحيط في التفسير. بيروت، لبنان: دار الفكر.
23. محمد محمد داود. (2008 م). معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ المتقاربة المعنى ، والصيغ والأساليب والمتشابهة . القاهرة، مصر: دار غريب للطباعة والنشر.
24. مستو ,م .د1418) .هـ 1998 /م .(الواضح في علوم القرآن .دمشق، سوريا :دار الكلم الطيب /دار العلوم الانسانية.
25. مصطفى مسلم. (1426هـ/2005 م). مباحث في اعجاز القرآن. دمشق، سوريا: دار القلم.